

# الشبهة: الأزهر، رواية غير مكتملة، وحكم متسرع



تحديد الشكوك و  
الشبهات صناعة  
الخطاب وآليات  
المساءلة لتحديد  
الشكوك والشبهات  
صناعة الخطاب  
وآليات المساءلة

عدد خاص متعدد  
الوسائط من المجلة  
الشهيرة «الشبهات»

# شبهة

٢١ الشبهة:

هل تشكّل حكم الأزهر ضد إيران على أساس رواية ناقصة، وهل لا يوضع ذلك مرجعيته الدينية موضع سؤال؟



## الأزهر والمسؤولية الثقيلة للكلام باسم الدين

لقد أعاد البيان الأخير للأزهر بشأن تطورات المنطقة وإجراءات إيران، مرة أخرى، إحياء نقاش مهم في الفضاء الفكري للعالم الإسلامي: العلاقة بين المرجعية الدينية والمواقف السياسية. فالأزهر، بوصفه أحد أقدم المراكز العلمية وأكثرها تأثيراً في العالم الإسلامي، كان يتمتع دائماً بمكانة تتجاوز الحدود الوطنية، وتعدّ كلماته في كثير من المجتمعات الإسلامية نوعاً من الحكم الديني. ومن هنا، يتوقع من هذه المؤسسة، في مواجهة الأزمات السياسية في المنطقة، أن تتحدث بدقة علمية، وعدالة في الحكم، وأن تتجنب الانحيازات المتسرعة. غير أن البيان الأخير أثار أسئلة وانتقادات بين المراقبين والمحللين.

١. في هذا البيان، انصبّ التركيز الأساسي على إدانة إيران، بينما لم تُذكر في المقابل بعض العوامل المهمة والحاسمة في تشكيل التوترات الإقليمية. والحقيقة أنّ أزمات الشرق الأوسط لم تتشكل في فراغ.

فالوجود العسكري الواسع للولايات المتحدة في الخليج الفارسي، والدعم السياسي والعسكري للنظام الإسرائيلي، واستمرار القضية الفلسطينية، تُعدّ من العناصر الرئيسية في المعادلات الأمنية للمنطقة. وإضافة إلى ذلك، فإنّ الرواية المقدّمة عن التطورات الأخيرة لم تُشر أيضاً إلى أحداث مثل استشهاد القائد الكبير للعالم الشيعي، وعدد من القادة والمواطنين الإيرانيين، في عمليات نُسبت إلى الولايات المتحدة والنظام الصهيوني. وقد أدى تجاهل مثل هذه الخلفيات إلى أن يرى بعض المحللين أنّ الصورة المقدّمة في هذا البيان صورة ناقصة عن الواقع المعقّد لتطورات المنطقة.

٢. والنقطة الأخرى الجديدة بالاهتمام هي طريقة استناد البيان إلى النصوص الدينية. فقد استند هذا البيان، من أجل تعزيز إدانته لإيران، إلى آيات القرآن والمفاهيم الدينية، في حين أنّ هذه الإدانة تشكّلت على أساس ادعاء لا ينسجم بوضوح مع التقارير الميدانية. فقد أوحى في نص البيان بأنّ إجراءات إيران ألحقت

الضرر بالمجتمعات العربية أو أدّت إلى مقتل مسلمين، بينما تُظهر التقارير المتاحة أنّ هجمات إيران كانت موجّهة إلى القواعد والمنشآت العسكرية الأمريكية، لا إلى الأماكن العامة أو البنى التحتية للدول العربية، ولم يُنشر تقرير موثّق عن مقتل مواطنين مسلمين في هذه الهجمات. وفي مثل هذه الظروف، فإنّ الاستناد إلى آيات القرآن لإضفاء الشرعية على إدانة سياسية تشكّلت على أساس اتهام موضع شك، يُعدّ في نظر كثير من المراقبين نوعاً من المصادرة غير الصائبة للكتاب والسنة في خدمة حكم سياسي؛ وهو أمر لا يبدو منسجماً مع التقليد العلمي والاحتياط الفقهي المتوقعين من مؤسسة مثل الأزهر.

٣. وما هو أبعد من مضمون هذا البيان، فإنّ المسألة الأهم هي تداعيات مثل هذه المواقف على تضامن العالم الإسلامي. فعندما تنحاز مؤسسة دينية كبرى، في النزاعات السياسية الإقليمية، إلى رواية خاصة، يمكن أن يُنظر إلى كلامها بوصفه حكماً دينياً، وهذا الأمر قد يزيد، من دون قصد، من الشقاق السياسية القائمة.

إنّ العالم الإسلامي اليوم يواجه تحديات مشتركة كثيرة، وكثيرون يتوقعون من المؤسسات الدينية المرجعية أن تؤدي دوراً معزّزاً للتقارب والوحدة الإسلامية، بدلاً من أن تكون انعكاساً للخلافات السياسية.

٤. كما أنّ الاعتبار التاريخي للأزهر كان مرتبطاً إلى حدّ كبير بهذا الدور نفسه. فالثقفة العامة بهذه المؤسسة هي ثمرة قرون من النشاط العلمي والتعليمي، والحفاظ على هذا الرصيد يستلزم أن تبقى المرجعية الدينية في أحكامها شاملة النظر، دقيقة، ومستقلة. إنّ الدفاع عن المظلومين، وإدانة الظلم من دون اعتبارات سياسية، وتجنّب استخدام النصوص الدينية في المنافسات السياسية، من بين التوقعات التي طُرحت دائماً تجاه مثل هذه المؤسسة. كما أنّ ردود الفعل الواسعة على البيان الأخير تُظهر أنّ الحساسية تجاه الحفاظ على اعتبار المرجعية الدينية في العالم الإسلامي لا تزال عالية جداً.